

أفاق المعرفة

obeikandi.com

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :
هذا بحث حول الإعجاز العلمي في القرآن في عالم النبات والحيوان
والفضاء والإنسان ، ألقى محاضرة في بعض الجامعات الإسلامية ، في
دمشق وغيرها .

* * *

معنى أو تعريف الإعجاز العلمي في القرآن؟

الإعجاز في اللُّغة : نسبة الآخرين إلى العجز والضعف ، أو عدم القدرة . وإعجاز القرآن : يقصد به إعجاز القرآن النَّاس أن يأتوا بمثله ، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله .

والمقصود بالعلم في تعبير (الإعجاز العلمي) : هو العلم التجريبي ، الذي اكتشفه العلماء نظرياً ، وأكدت التجربة الحسية المشاهدة إما بالسمع أو البصر أو اللمس أو غير ذلك مصداقيته ووقوعه ، فيتأكد في الذهن صحة النظرية المكتشفة والمعلومات التي يراد إثباتها .

وتعريف الإعجاز العلمي في القرآن : هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي ، وثبت عدم إمكان إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ . وهذا يدل على أن القرآن العظيم كلام الله وليس كلام البشر ، لأن ما يقرره القرآن قبل أن يكتشفه البشر ، دليل على أسبقية الاكتشاف والإخبار به قبل أن يتوصل العلماء إلى معرفته ، والسبق في الماضي قبل تقدم العلوم الكونية وفي بيئة متخلقة تشعرنا بنحو واضح أن هذا الكلام ليس كلاماً إنسانياً عادياً ، وإنما هو كلام الخالق المحيط علمه بكل شيء .

ولقد أعجز القرآن الكريم العرب من عدة نواح : لفظية ومعنوية ، وروحية ، وأعلنوا عجزهم عن مجازاة القرآن ومعارضته ، وأدركوا في أعماق نفوسهم أن هذا الكلام هو كلام الله ، وليس كلاماً من عند بشر .

لقد أعجزهم بيانه العجيب ، وبلاغته وفصاحته التي تفوق كلَّ ماعرفوه من أنواع الكلام ، شعره ونثره وخطبه ومقالاته وسائر ألوان البيان ، فهو من عند الله لا من عند بشر . وهذا تصديق لقوله تعالى :
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

[النساء : ٨٢] .

وجاءت مكتشفات العلم الحديثة ، وتعرض القرآن بصفة غير مباشرة لكثير من النظريات العلميّة الجديدة في الكون والاجتماع والأخلاق والوجدان ، مما يدل على صحة قول الله تعالى : ﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] ، أي : أو لم يكف بشهادته المخبرة بما في علمه ، وهو الوحي على رسوله ، فإن الله على كلِّ شيءٍ شهيدٌ وعليمٌ به . والمراد بالآفاق : أقطار السموات والأرض من شمس وقمر ، ونجوم وليل ونهار ورياح وأمطار ورعد وبرق ، وصواعق ونبات وأشجار ، وجبال وبحار وغيرها .

* * *

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي؟

هناك فرق واضح بين الاصطلاحين أو المعنيين :

فالتفسير العلمي : هو الكشف عن معاني الآية في ضوء ما ترجّحت صحته من نظريات العلوم الكونية ، أي إنه يأتي متأخراً عن اكتشاف النظرية العلمية . أما الإعجاز العلمي : فهو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً ، وثبت عدم إمكان إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الوحي - زمن الرسول ﷺ . أي إن الإخبار أو التقرير القرآني سابق على اكتشاف النظرية العلمية .

وهكذا يظهر اشتمال القرآن على الحقيقة الكونية التي يؤول إليها معنى الآية ، وشاهد الناس مصداقها في الكون ، فاستقر بها التأويل ، كما قال الله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٧] .

هذا الإعجاز يشير إليه القرآن إشارات في ثنايا حديثه عن الكون من السماء والأرض ، وإلا فليس القرآن كتاب علوم .

* * *

أوجه الإعجاز العلمي في القرآن؟

إن معجزة القرآن العلمية ، تظهر لأهل العلم في كل مجال من مجالاته ، فهي ظاهرة في نظمه وكلامه ، وفي إخباره عن الأولين ، وفي إنبائه بحوادث المستقبل ، وفي حكم التشريع وغيرها .

ولقد شاع في عصرنا الحاضر مصطلح الإعجاز العلمي ، للدلالة على أوجه إعجاز القرآن التي كشفت عنها العلوم الكونية والطبيعية ، لأن رسالة القرآن للبشر رسالة تعليمية واقعية ، فلا منافاة بين مدلولات القرآن وواقع الحياة . وهذا يدل على أن مهمة القرآن إنهاء عهد السحر والكهانة ، والأساطير والأوهام والخرافات ، التي سيطرت على الفكر الإنساني ، فلقد ظل الفكر الوثني مثلاً ، حتى في عصرنا الحاضر ميطراً على عقول بعض الناس ، فعظموا المادة الصماء ، والحجر والشجر والبشر ، فانحدروا عن المستوى الإنساني الكريم ، وأراد القرآن أن ينظف أو يقتلع من أذهان البشر تلك الترهات والأوهام ليعيشوا واقعهم ، ويدركوا الحقيقة المجردة ، ليفهموا سرّ الحياة ويكتشفوا أغازها ، أما أصحاب الوثنية فظلت عقولهم فريسة التخلف والضياع والانحدار .

وانتظرت البشرية طويلاً بعد نزول القرآن ، إلى أن امتلكت من الوسائل العلمية ما يكشف لها أسرار الكون ، وإذا بالذي يكتشفه الباحثون بعد طول بحث ودراسة ، تُستخدم فيها أدق الأجهزة الحديثة ، يُرى مقررأ في آية أو إشارة في آية قبل أكثر من ١٤ قرناً ، وذلك فيما تعرّض له القرآن من حقائق .

أمثلة من الإعجاز العلمي في القرآن

(النظريات العلميّة)

القرآن الكريم كتاب تشريع وهداية ، ودستور عبادة وأخلاق ، وليس من مقاصده تقرير بعض النظريّات العلميّة ، وإنما في مجال حديثه عن خلق السّموات والأرض ، وتزيين السّماء بزينة الكواكب ، وفي أثناء بيان القرآن لأحوال وأطوار الإنسان والنبات والحيوان ، بقصد إثبات وجود الله ووحدانيته وقدرته على بعث الناس مرة أخرى في عالم القيامة ، في هذه المناسبات ، نجد في القرآن إشارات واضحة لتقرير سنة كونية وقانون علمي إلهي ثابت ، يتطابق مع الاكتشافات العلميّة المقررة في القديم والحديث ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر : ٢٢] .

بيان قانون التلقيح بنقل طلع الذكور للإناث في الأزهار ، والإثمار ، فتجد الريح واسطة ضرورية لهذه العملية التي تتم من أجل تكوين الثمرة ، ولولاها لما ظهرت الثمرة ، كما أن الرياح واسطة لسوق الشّحب وإنزال الأمطار ، كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الروم : ٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، دلت الآية الكريمة على شيئين : أولهما - نظرية السّديم : وهي أن السموات والأرض كانتا كتلة غازية ملتهبة ملتصقة ببعضها ببعض ، ثم فصلت

السماء عن الأرض ، فكانت السماء كتلة غازية ملتهبة ، وأصبحت الأرض باردة تصلح لسكنى الناس فيها .

والأمر الثاني - أن الماء مصدر الحياة لكل الأشياء ، سواء الإنسان والحيوان والنبات ، فأغلب جسد الإنسان ماء .

وقول الله سبحانه : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِذِي آفَنَنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨] ، دلت هذه الآية على دوران الأرض ، وأن الأرض متحركة غير ثابتة ، وهي التي تدور حول الشمس ، وليست الشمس مثلاً هي التي تدور حول الأرض ، وبذلك قضى القرآن على النظرية والجدل القديم وهي أن الشمس متحركة والأرض ثابتة .

وقوله سبحانه : ﴿ يَكْوَرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى أَيْلَ ﴾ [الزمر : ٥] ، يفهم منه كروية الأرض ، لأن التكوير هو اللف على الجسم المستدير ، وقد سبق علماؤنا كالفخر الرازي علماء الغرب والشرق إلى تقرير كروية الأرض ، وأنها مكورة غير مسطحة وأنها هي التي تدور حول الشمس ، لا العكس . وأكد هذا اكتشاف الفضاء والأقمار بالسفن الفضائية حين رأوا الأرض مثل الكرة معلقة في الفضاء .

وقوله عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد : ٤١] ، يرشد إلى كون الأرض مفلطحة غير تامة التكوير ، وهذا ما أكدته العلم الحديث .

وقوله سبحانه : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠] ، دال بشكل واضح على عدم اختلاط الماء المالح بالماء العذب في مصب واحد . وأكدت الاكتشافات البحرية وجود هذا الفاصل بين المائين . ومنه كلمة دولة (البحرين) وفيها إلى الآن ماءان : عذب وملح . وفي آية أخرى : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ

لَهَا رَأْسٌ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي عِلْمٍ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
 [النمل : ٦١] ، وفي آية ثالثة : ﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا
 مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] ، إن الذي أرسل
 البحرين عذبا وملحا هو الله تعالى ، والجاعل حاجزا بينهما : هو الله
 تعالى .

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ
 نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
 الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ۗ آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
 الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤] هذه الآية دللت على مراحل خلق الإنسان ،
 ويتطابق ذلك مع أحدث النظريات والعلوم الطبية الحديثة .

* * *

في أي شيء تتمثل أوجه الإعجاز العلمي في القرآن؟

تتمثل هذه الأوجه في أمور كثيرة عجيبة أهمها ما يأتي :

١- في التوافق الدقيق بين نصوص القرآن وبين ما اكتشفه علماء الكون ، من حقائق كونية وأسرار علمية ، ولم يكن في إمكان البشر أن يعرفوها وقت نزول القرآن .

٢- تصحيح القرآن لما شاع بين البشرية من أفكار مغلوطة حول أسرار الخلق ، مثل ما كان شائعاً بين علماء التشريح أن الولد يتكون من دم الحيض ، واستمر ذلك الاعتقاد إلى أن اكتشف المجهر في القرن السادس عشر الميلادي أن الإنسان يخلق من المنى . وهذا ما أبانه القرآن في قول الله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ ﴾ [السجدة : ٩٧] ، وجاء في سورة النجم : ﴿ وَأَنْتُمْ خَلَقْتُمُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝١٥ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَأْتَى ۝١٦ ﴾

[النجم : ٤٥-٤٦] .

٣- النصوص القرآنية إذا جمعت يكمل بعضها الآخر ، فتجلى بها الحقيقة ، مع أنها قد نزلت مفرقة في الزمن ، وفي مواضع مختلفة من القرآن ، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذي يعلم السر في السموات والأرض . قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢ ﴾ [النساء : ٨٢] .

٤- سنّ التشريعات الحكيمة التي قد تخفى على الناس وقت نزول القرآن وتكشفها بحوث العلماء في شتى المجالات ، مثل ماكشفه العلم حديثاً من حكمة تحريم أكل لحم الخنزير ، وفي غسل نجاسة الكلب سبعاً إحداهن بالتراب . كما ورد في السُّنَّة النَّبَوِيَّة ، واستثنى القرآن كلاب الصيد للحاجة أو الضرورة ، فلا يغسل معض الكلب في الشيء المصيد ، وكان الكلب حال جريه يتطهر لعابه من الميكروب ، فلا ينتقل إلى الصيد .

وقائع من الإعجاز العلمي في الطبيعة الإلهية المخلوقة في القرآن الكريم :

ينبهر الناظر في القرآن الكريم في مظاهر الإعجاز العلمي في الطبيعة المخلوقة الدالة على كمال قدرة الله تعالى ، في خلقه الأشياء المتنوعة من الشيء الواحد ، وهو الماء الذي ينزله من السماء ، فيخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها ، من هذه المظاهر ما أشارت إليه الآيات الآتية في سورة فاطر : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيدٌ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِمَّنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر : ٢٧-٢٨] .

أي : ألم تشاهد أيها الإنسان أن الله تعالى خلق الأشياء المختلفة من الشيء الواحد ، فأنزل الماء من السماء ، وأخرج به ثماراً مختلفة الأجناس والأنواع والطعام والروائح والألوان ، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض وأسود ونحو ذلك ، كما قال الله تعالى في آية أخرى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد : ٤] .

وخلق الله الجبال الرّواسي كذلك مختلفة الألوان ، كما هو مشاهد من بيض وحمر ، وفي بعضها طرق وهي الجُدَد مختلفة الألوان أيضاً .

وخلق الله أيضاً خلقاً آخر من الناس والدواب والأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم مختلفة الألوان في الجنس الواحد ، بل وفي النوع الواحد ، وفي الحيوان الواحد ، كاختلاف الثمار والجبال . وهذا كله أوضحته علوم الحيوان والطبيعة والجيولوجيا (علم طبقات الأرض) دون تعارض مع القرآن .

ثم عقب الله على ذلك مشيراً لأهمية وجود العلماء ومكانتهم ودورهم في إدراك عظمة الخلق ، فذكر الله تعالى أنه يخاف الله بالغيب العالمون به ، والذين يدركون ما يليق بالله من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة ، وهذا كله أدركه علماء الكون بدقة وشمول ، ونبه القرآن إليه قبل معرفة نظرياتهم .

* * *

ألوان من الإعجاز العلمي في عالم النبات

ليس هناك في العالم الأرضي أجمل ولا أبداع من عالم النبات ، ففيه بهجة الحياة ، ومسرة العين والقلب وراحة النفس ، وكل ما يتحدث عنه علماء النبات ، من دراسة تطورات الزروع والأزهار والثمار ، وكيفية إعمارها وتزاوجها ، نجده مفصلاً في القرآن الكريم في آيات كثيرة تدل على عظمة القدرة الإلهية ، وكون القرآن من عند الله تعالى ، في وقت لم يكن التقدم العلمي واضحاً في مجال النباتات ، وهذا مانجده في آيات القرآن التي سجلت أبداع دقائق النبات والزرع والشجر ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ [ق : ٧-١١] .

انظر إلى ظاهرة تزاوج النباتات في قوله تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ .
وانظر إلى ظاهرة الإحياء المائي : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا ﴾ .

وانظر إلى جمال التناسق والتراكيب في جمال الحبوب المتراكمة والنخيل الباسقة وثمرها المنضد بعضه فوق بعض ، والمتراكم بعضه على بعض ، ومهما أبداع الواصفون لا يجدون مثل هذا الوصف لجمال الطبيعة المخلوقة من الله في الزروع والأشجار .

ويتكرر هذا الوصف العلمي المبهر في آيات أخرى كثيرة ، مثل قوله

تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾] [النحل : ١٠-١٢] . وكأنك في هذه الآية أمام بستان نضجت زروعه وثماره زيتونه ونخيله وعنبه وجميع ثمراته الصيفية .

وفي آية أخرى مماثلة : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ لِلَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾] [النمل : ٦٠] .

انظر في هذه الآية وماتنضفيه من جمال ، وكأنك أمام حديقة غناء ذات أزهار متنوعة ، بيضاء وحمراء وصفراء وبنفسجية وغيرها ، تحتضنها خضرة الربيع ، ويتعشقها الرسامون والفنانون .

* * *

نماذج من الإعجاز العلمي في عالم الأحياء

يتميز عالم الأحياء البديع عن عالم النبات بالحياة والحركة المتقلة والمتغيرة ، ويصف العلماء دقائق هذا العلم بدءاً من بداية التكوين إلى نهاية الحياة ، وقد سبق القرآن إلى تصوير عالم الأحياء تصويراً علمياً موجزاً يلفت النظر ويبعث على التأمل والتفكير ، كما جاء في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَتَتْهَا أَمْزَاجٌ لَيَالٍ أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْرِفُونَ ﴾ [يونس : ٢٤] .

تشير الآية الكريمة وغيرها إلى تكامل عناصر الحياة : وهي الرطوبة المتمثلة بالماء ، والتربة التي لا بد منها ، والحرارة التي يحتاجها النبات ، وكذلك الهواء ، وبغير هذه العناصر الأربعة الضرورية لا توجد الحياة ، ولكن خالق هذه العناصر هو الله ، المتميز بالقدرة التامة على الخلق والإبداع ، ثم الإمامة والإبادة ، ثم الانتقال إلى عالم الآخرة بحسب علم الله وحكمته وتقديره . والماء من بين هذه العناصر أهمها ، فهو أساس الحياة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] .

وتؤكد آية أخرى مراحل الحياة في الأشياء ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ

الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ
حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ [الأنعام : ٩٩] ، وعملية إنزال المطر من الغيم أو السحاب
واضحة في قوله تعالى : ﴿الرُّتْرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ [النور : ٤٣-٤٤] .

إن هذه الأمثلة على الإعجاز العلمي في عوالم النبات والطبيعة
والحيوان سبقت كل الدراسات المفصلة لدى علماء هذه المواد ، وأبانت
الدقة المتناهية في تصوير مراحل النمو والتطور ، والإبداع والتصوير ،
ليعطينا الله تعالى الدليل القاطع على أن القرآن المجيد كلام الله الذي :
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٢] .

* * *

(١) قنوان : أي عراجين وعناقيد التمر كعناقيد العنب ، والطلع : أول ما يبدو ويظهر
من زهر النخلة قبل انشقاق الغلاف .